

دلائل الإعجاز

التأمل ومُواطبة على التدبُّر وإلى همَّةٍ تأبى لك أن تقنعَ إلا بالتَّمام وأن
تَرْبَعَ إلّا بعدَ بلوغِ الغاية .

ومتى جَشمَتَ ذلكَ وأبیتَ إلا أن تكونَ هنالك فقد أمتَ إلى غرضٍ كريمٍ وتعرَّضتَ لأمرٍ
جَسيمٍ وآثرتَ التي هي أتمُّ لدينكَ وفضلكَ وأنبَلُ عندَ ذوي العقول الرَّاجحة لك . وذلك
أن تعرفَ حُجَّةَ □□ تعالى من الوجه الذي هو أضوأُ لها وأنوهُ لها وأخلقُ بأن يزدادَ
نورُها سُطوعاً وكوكبُها طُلوعاً وأن تسلكَ إليها الطريقَ الذي هو آمَنُ لك من
الشَّكِّ وأبعدُ من الرَّيبِ وأصحُّ لليقينِ وأحرى بأن يُبلَّغَكَ قاصِيةَ التبیین .
واعلمُ أنه لا سبيلَ إلى أن تعرفَ صحَّةَ هذه الجملة حتى يبلغَ القولُ غایتَه

وينتهيَ إلى آخرِ ما أردتُ جمعهُ لك وتصويرَه في نفسك وتقريرَه عندك إلا أن هاهنا
نُكتةٌ إنَّ أنتَ تأمَّلتَها تأمُّلاً المتنبِّتَ ونظرتَ فيها نظراً المُتدبِّرَ رَجوتُ أن
يَحسُنَ ظَنُّكَ وأن تنشَطَ للإصغاءِ إلى ما أُوردهُ عليك . وهي أنَّا إذا سُقنا دليلَ
الإعجازِ فقلنا : لولا أنَّهم حين سَمِعوا القرآنَ وحين تُحَدِّثُوا إلى معارضتهِ سمعوا
كلاماً لم يَسْمَعُوا قطُّ مثلهِ وأنهم قد رازوا أنفسهم فأحسُّوا بالعجزِ عن أن يأتوا بما
يُوازیه أو يُدانيه أو يقعَ قريباً منه لكان مُحالاً أن يَدعُوا معارضتهِ وقد تُحَدِّثُوا
إليه وفُزُّوا فيه وطُوبلوا به وأن يتعرضُوا للشَّبا الأَسَدِيَّة ويفتحُوا مواردَ الموتِ
فقلنا : قد سَمِعنا ما قلتم فَخَبَّرُونَا عنهم عَمَّنا ذا عَجَزُوا أعن مَعانٍ في
دِقَّةِ مَعَانِيهِ وحُسْنِها وصِحَّتِها في العقولِ أم عن أَلْفاظٍ مثلِ أَلْفاظِهِ فإنَّ قلتم عن
الألفاظِ فماذا أعجزهُم من اللفظِ أم ما بهرهُم منه فقلنا : أعجزَتْهُم مزايا ظهرتْ لهم
في نظمهِ وخصائصُ صادفوها في سياقِ لفظهِ وبدائعُ راعتهم من مباديء آيهِ ومقاطِعِها
ومجاري أَلْفاظِها ومواقعِها وفي مضربِ كلِّ مثلٍ ومساقِ كلِّ خبرٍ وصورةِ كلِّ عظةٍ
وتنبيهٍ وإعلامٍ وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ومع كلِّ حُجَّةٍ وبُرهانٍ وصفةٍ وتبيان .
وبهرهُم أنَّهم تأمَّـلوه سورةً سورةً